معول الهدم

في طريق بحي من أحياء القاهرة وقع بصري على معاول الهدم تقوض منزلاً كنا قطنه والشمل مؤتلف ، فجاشت بنفسي هذه الأبيات :

يا هادمَ البُنيانِ تَضربُ صخرَه   أوَما شهدتَ طيوفَه بالمَدرجِ(1) ؟!

تُهوي بمعولك الجدارَ معنّفاً   والمعولُ الهدّامُ أورى للشجي

دوّت له صورُ المكانِ وأهله   تدنو بمهدٍ في الضميرِ مُوَشّجِ

وتفرّقوا بدداً ، ورفاتُه أنسٌ   حضانةٌ تعيشُ بظلّه المتبرّجِ

هيّجتَ من ذكرِ السوالفِ، فالتقت   تنساقُ بين مذكِّرٍ ومهيّجِ

هلاّ وقفتَ بنا نودّعُ برهةً   آثارهم، وشذا الزمانِ الأبلجِ.(2)

أبداً يلوذُ المرءُ في تحنانه   بالذكريات ، وخفضِ عيشٍ سجسجِ

ومجالسِ الأحبابِ في أسحارهم   أنْ تنأ عنهم بالترحّل ، تأرجِ

وصُبابةُ الأيامِ رغبٌ فواتها   في غابرٍ يمضي ، وشروقٍ سَامجِ

نأوي إلى كنفِ الديارِ رحيبةً   وتعِلّةٌ منها بالفراقِ المزعجِ

ونحومُ حولَ طلولها ورسومها   في لفتةِ المتحسّرِ المتهدّجِ

نبكي بعادَ الراحلين ، وإنه   ليثيرُ كامنَ ضارمٍ متأجّجِ

---

(1) المدرج — الطريق للسالك

(2) الأبلج — الوضاح طلق الوجه

وترى بأعيننا المدائن والقرى تعفو لشادٍ بعدها ومُخرّج
واحسرة الأحياء، يورث بعضهم بعضاً، ومايبق شوى للأحرج[1]!!
ومطامعُ الدنيا تغرّ، ومن يعش يلقَ الخراب موكّلاً بالمنتج
والناس في غدواتهم وروحاتهم نهبَ الحظوظ تميلُ ميلَ الأعوج
تلك المنازلُ، ما تقوّضَ منزلٌ إلاّ بقصة طارقٍ أو مُدلج
ولها طوالعُ كالنجوم، فطالعٌ يُزجي السعود، وطالعٌ لا يزدجي
ياداو فيكِ شبتُ أمزُجُ حالكا وقربْتِ بالماضي كأن لم أمزج
تبني المهارُ مُبدعينَ طلاءها ونبينها بالنقش فتنة مبهج
نبني، ومن يدري لعلّ نبينها أشلاء ثاوٍ في الرّغام مضرّج
تتحلّل الأشياء من أجرامها وتغيبُ في ذرِّ الهباء المُرهج[2]
فتى أصابت بالتزاوج موردًا آلت بلم في الخليقة مُدمج
والدورُ مثل القاطنين، مصيرها ليدِ الفناء، ومن يعمَّر يُنهج[3]
وإذا تأملت الحياة مفكراً ضلّت بفكرك عند باب مُرتج!!

القاهرة عبد السلام رستم

---

(١) شوى البيــر — الهين
(٢) المرهج — المتطاير. وأصل الرهج أثارة الغبار
(٣) أنهج. ينهج — يبلى